# تداعيات دماغٍ عربيّ

خالد مُعَدِّل

- ١ -

عبثاً أراني أحلُبُ التاريخَ
كي تنزاحَ داجيةُ الغَسَقْ
أيقنتُ أني قد أويتُ إلى جبالٍ
من ورقْ
سحُبُ القتامِ تلفُّها،
تمتدُّ من حربِ البسوسِ،
إلى الكويت، إلى اليمنْ
ووجدتُ أنّ دمَ العروبةِ
في «عكاظ» بلا ثمنْ!

- ٢ -

ذئبٌ ترنم بالعواءِ
ليُنهضَ الغافينَ من أسر الوسَنْ
ودجاجة مسحورةٌ..
كلُّ الثعالب تقتفي آثارها
وأكفّنا مرفوعةٌ، تدعو
وتشكو بثّها،
ونحمّلُ الأقدارَ عاقبةَ المِحنْ
أهو الزّمن؟؟
أم من يروم الصّيدَ في ماءِ الأسن؟
إنّا سهرنا ألف ليلٍ...
واستشرنا كلَّ عرّافٍ
ومازلنا نفكّر مُقمَحِين!
أين الوطن؟
وطن يحيط به الأمان
وفيه خفضُ العيشِ
أو فيه الكفن!

- ٣ -

صفحاً جميلاً أيُّها التاريخُ
ما كنّا «كراماً كاتبينَ»
جراح أهلينا تفورُ..
وقد تداعى للدماء الوالِغون
أهي الحضارةُ؟
علّمونا أن ندجّنَ وعيَنا قبل المخاضِ
وبالهراوةِ، أجبرونا.. أن نهلّلَ للولادةْ
لقّنونا كيف نصمت..
كيف نضرع للسياده!!
كيف نختال افتخاراً
نرتدي درّاعةَ التاريخِ
نرتُق بالوعود، وبالوعيد فتوقَها
ونَجلُّها حتى العبادةْ!

- ٤ -

زاغتِ الأبصار، وهي تكدُّ خلف الآلِ
تحسبُه مياهاً، من بعيدْ..
أمّا بصائرنا..
فما وجدتْ سوى نهرِ الصّديد!

- ٥ -

وادٌ على وادٍ، ومازال المخاضُ
يجيءُ بالنكساتِ
أو يلدُ التملُّقَ والولاءْ
ويسوطنا بالأتقياءِ
أو الملائكةِ الشّدادِ
ونحن نرفُل في البلاهةِ والغباء!
الخبز جَنّتُنا.. ونلهث للرغيفِ
نهزُّ جذعَ النّخلِ..
كي يتكلّمَ التاريخُ..
والتاريخُ أعمى أبكمُ
لا شيء فوقَ لسانه غيرُ الوجيفْ!

- ٦ -

مَن ذا يُقاضينا، إذا عُدنا إلى عصر الحريمِ
وهالَنا مستنصرٌ باللّهِ..
أو متوكّلٌ، أو مستعينْ؟
مَن ذا الذي يجتازُ هول البحرِ
ثم يَشُبُّ ناراً في السفينْ؟
من سوف ينصرنا..
ونحن نهيم عشقاً بالتخومِ
ونرسم الآتي.. كما قد جاء في «العهد القديمْ»؟؟
من ذا؟ وكلُّ قضاتنا متألّبون
تأبّطوا القانون، واتّخذوه سيفاً
فوق أعناقِ الجناةِ الجائعينَ..
لأنّهم أكلوا رغيفاً
من حصادِ المتخَمين!

- ٧ -

دمنا يفيضُ لريِّ غِلِّ الظامئينَ
من البقاع.. إلى الجنوبِ، إلى الخليلِ..
وكلُّ أهلي مُهطِعون
ومُسلِمون رقابهم للمِقصلهْ
لا يأبهون!!
كأنّهم نظارةٌ.. يتفرّجون
ويحلُمون
فربّما الأحلام تثمِرُ...
في السنينَ المقبِلهْ!

- ٨ -

يبِستْ غصون الغارِ والزيتونِ
وانتفخَ الكلامْ
إذْ لاحَ في الآفاقِ لألاءُ السلامْ
فإذا القبائلُ تشهر الأسيافَ
في وجهِ القبائلْ
تستيقظ الثاراتُ ما بين الصحارى والخمائلِ
والخيارُ الصعبُ.. أن تغدو قتيلاً..
إن شَجُعْتَ..
وإن جَبُنْتَ.. فأنتَ قاتِلْ!

- ٩ -

كلّكم شهداءُ..
لا خوفٌ ولا حَزَنٌ عليكم..
فارحفوا...
وتضرّعوا «لِلاّتِ والعُزّى»
تنالوا البِرَّ مِدراراً من القمم العليّةِ
فاقتفوا إثرَ الفحولْ
وتعلّموا طقسَ الفصولِ..
تجهّزوا، وتزوّدوا..
وفِدوا إلى حيثُ الذئابُ غدت تُبشِّرُ بالهدى
وتدثّروا بعباءة التاريخِ
إنّ عباءةَ التاريخِ حُبلى
بالكنوزِ أو المُدى!

- ١٠ -

وطني ثريٌّ بالجِمالِ
ترابُه تبرٌ وعطرٌ..
إنّما ساحاتُه قفراءُ من غَضَب الرِّجالْ!
رحبٌ.. فسيحٌ..
من «مليلةَ».. لـ«المنامهْ»
وبنوه، في عُقمِ الرمالِ..
يُنَقِّبُونَ عن الكرامهْ!

- ١١ -

أنا لستُ مدّاحاً..
على الأبواب أنتظر العطاءَ..
ولستُ هجّاءً، أجيدُ الشتْمَ
أهذرُ مثلَ حمقاء النّساءِ
ولا أباركُ كلَّ أشعارِ البَلاطْ
أنا شاهدٌ..
ونذيرُ قومٍ، يُهرَعونَ
ليُولِجوا التاريخَ في سَمِّ الخياطْ!...

حلب